رسالة الغفران: القضايا والرؤية الفنية

شرح تربوي معمّق ومراجعة عملية لتلاميذ الباكالوريا في تونس

اللغة العربية | شعبة الآداب

تمهيد وأهداف التعلم

هذا الدرس متوافق مع المنهج الدراسي التونسي، وقد أُعيد ترتيبه تربويًا ليساعد على الفهم والمراجعة. لا تُنسب الأمثلة التوضيحية الإضافية إلى مؤلف أو كتاب ما لم ترد إحالة واضحة إليها.

- فهم المفاهيم والأفكار المركزية في الدرس.
- التمييز بين الشرح والتحليل والتقويم بحسب طبيعة المادة.
- تحويل الفهم إلى إجابة منظمة قابلة للتطبيق في الاختبار.

شرح مادة الدرس

مدخل إلى الدرس

تُقرأ «رسالة الغفران» في شعبة الآداب بوصفها نصًّا نثريًّا يتيح الجمع بين تحليل القضايا الفكرية ودراسة طرائق التعبير. فهي تنطلق من رسالة ابن القارح، ثم تنسج حولها رحلة متخيّلة في العالم الآخر، يلتقي فيها صاحب الرحلة عددًا من الشعراء والأدباء، ويجري بينهم الحوار والإنشاد والمساءلة. ولا ينبغي أن يحصر

التلميذ اهتمامه في سرد أحداث الرحلة أو تعداد الشخصيات؛ فالمهم أن يلاحظ كيف يستثمر أبو العلاء المعري هذا البناء الخيالي لعرض تصوّراته ومناقشة مسائل الأدب والمجتمع والدين، وكيف يجعل المتعة وسيلة إلى التفكير والنقد.

القضايا الأدبية والنقدية

تمنح الرسالة الأدب والشعر مكانة مركزية، لكنها لا تقدّمهما على أنّهما مجالان منفصلان عن الأخلاق والصدق. فمن خلال المواقف والحوارات، يثير النص مسألة التكسب بالشعر، أي تحويل القول الشعري إلى وسيلة لطلب العطايا، ويكشف ما قد يصاحب ذلك من تذلل أو مجاملة. ويُفهم من هذا الموقف أنّ قيمة الشعر لا تُقاس بما يجلبه لصاحبه من منفعة، بل بما يتوافر فيه من جودة وصدق وكرامة.

ويطعن النص كذلك في نسبة الأبيات إلى غير قائليها، فيبرز خطر الانتحال على أمانة الرواية الأدبية. فحين تُلصق أبيات بشخص لم يقلها، لا يقع الخلل في معلومة جزئية فحسب، بل تتشوّه صورة التراث ويختلط الصحيح بالمصنوع. ويستطيع التلميذ أن يربط هذه المسألة بواجب التثبّت من الأخبار والنصوص، وبأهمية النقد في التمييز بين الرواية الموثوقة والدعوى التي لا دليل عليها.

ومن القضايا التي يناقشها المعري المبالغة التي تفقد الشعر توازنه، كما يثير مسألة قبح اللفظ والهجاء. وتساعد هذه الأمثلة على فهم أنّ النقد في الرسالة لا يقتصر على المفاضلة بين شاعر وآخر؛ فهو يسائل شروط القول الجيد: هل يحافظ على التناسب؟ وهل يعبّر عن معنى مقبول؟ وهل يظل أثره الجمالي منفصلًا عن أثره الأخلاقي؟ ومن هنا تبدو رؤية المعري للشعر قائمة على رفض الزيف والتكلّف حين يطغيان على جودة المعنى وصدق التعبير.

القضايا الاجتماعية والدينية

لا تنفصل مواقف النص عن صورة المجتمع التي يلمّح إليها. فالرسالة تعرض مشاهد ترتبط بالترف واللهو والتمتع بالمآكل والمشارب، وتضعها في مقابل واقع التفاوت بين المترفين والفقراء. ولا تُقرأ هذه المشاهد على أنّها وصف

تفصيلي لمجتمع كامل، بل بوصفها إشارات نقدية تكشف انشغال الناس بالمظاهر واللذائذ، وإهمالهم ما يتصل بالفكر والقيم. وهكذا يتيح العالم الأخروي المتخيّل للكاتب أن يعيد ترتيب صور من الحياة الدنيا، وأن يجعلها موضع مساءلة ساخرة.

وتتصل بذلك القضايا الدينية والعقدية. فالرسالة تستحضر الجنة والنار والشفاعة والغفران، لكنها لا تكتفي باستعمالها عناصرَ للغرابة أو التسلية؛ إذ توظفها في اختبار تصوّرات الناس عن الحساب والنجاة. وينبغي التعامل مع هذا الجانب بحذر، فلا ننسب إلى النص حكمًا شاملًا على عقيدة بعينها، ولا نخلط بين تمثيل فكرة داخل مشهد أدبي وبين تقرير موقف مباشر. والأقرب إلى التحليل أن نلاحظ كيف يدعو النص إلى مراجعة الاعتقاد السطحي الذي يكتفي بالأماني، وإلى وصل الإيمان بالعمل والإخلاص، وكيف يكشف التناقض بين القول الديني والسلوك إذا صار الدين مظهرًا بلا أثر في حياة صاحبه.

الرؤية الفنية وبناء النص

تجمع «رسالة الغفران» بين الرسالة والرحلة والحكاية والحوار، ولذلك يصعب ردّها إلى جنس واحد بالمعنى الحديث. فالرسالة إطارها الأساسي، أما الرحلة المتخيّلة فتمنحها الحركة وتتيح الانتقال بين الأمكنة والشخصيات، وتمنحها الحوارات إمكان عرض الآراء ومناقشتها. غير أنّ هذا البناء لا يقوم على حبكة متماسكة تتدرج فيها الأحداث نحو نهاية واحدة؛ إذ تتوالى اللقاءات والمواقف، وتتسع المادة أحيانًا لتشمل مسائل لغوية أو أدبية. لذلك يكون من الأدق وصفها بنص نثري مركّب، يستفيد من عناصر قصصية من غير أن يتحول إلى قصة حديثة مكتملة الحبكة.

ويؤدي الخيال وظيفة فنية وفكرية في آن. فتصوير اللقاء بالشعراء في الدار الآخرة يفتح مجالًا لمساءلة أحوالهم وأقوالهم، ويجعل الماضي الأدبي حاضرًا في مشهد حواري. كما يخلق المفارقة بين المكان المقدّس وما قد يظهر فيه من مشاغل دنيوية أو سلوك بشري مألوف. وهذه المفارقة تثير الضحك أحيانًا، لكنها لا تنتهي عند الإضحاك؛ إذ تحمل القارئ على التفكير في العادات والتصورات التي انتقلت من الحياة اليومية إلى المخيال الديني.

ومن خصائص البناء أيضًا كثرة الاستطراد. فقد ينتقل النص من حكاية لقاء إلى مناقشة بيت شعري، أو إلى تدقيق لغوي، ثم يعود إلى مسار الرحلة. ويمكن أن يبدو هذا الانتقال ابتعادًا عن الموضوع إذا قرأناه بمنطق الحكاية المتصلة، لكنه يكشف في الوقت نفسه عن سعة ثقافة الكاتب وعن طبيعة الكتابة التي تمزج الإمتاع بالمعرفة. لذلك يُستحسن أن يبيّن التحليل أثر الاستطراد في إبطاء الحركة السردية، ثم يوضح ما يضيفه من معلومات وتعليقات.

اللغة والأساليب وطرائق التحليل

تقوم لغة الرسالة على ثراء معجمي وقدرة على استحضار مفردات الأدب واللغة والدين. ويستثمر المعري معرفته بالشعر العربي في إيراد الأبيات ومناقشة نسبتها أو معناها، كما تظهر عنايته بالفروق اللفظية والاشتقاق. وهذا الثراء قد يجعل بعض المقاطع كثيفة على القارئ، لذلك يحتاج تلميذ الباكالوريا إلى شرح المفردات في سياقها، لا إلى الاكتفاء بتجميع الكلمات الغريبة. فالمعنى يتضح غالبًا من الحوار أو من المناسبة التي ورد فيها القول.

ويُعدّ الحوار أداة أساسية في تقديم الشخصيات والآراء، فيما يمنح السرد الرحلة إطارها العام. أما السخرية فتنبع من المفارقة ومن وضع القول أو السلوك في سياق يكشف تناقضه، وقد تتجاور مع نبرة جدية حين يتعلق الأمر بالصدق أو الحساب أو مسؤولية الإنسان. ومن المهم ألا يكتفي الشرح بوصف النص بأنه ساخر أو عجائبي؛ بل ينبغي أن يربط كل سمة بوظيفتها: فالخيال يوسّع مجال النقاش، والحوار يعدد الأصوات، والاستطراد يعمّق المعرفة، والسخرية تفضح التناقض وتحرّك ذهن القارئ.

خلاصة منهجية

عند الإجابة عن سؤال حول «القضايا والرؤية الفنية»، يُستحسن تنظيم التحليل في مسار واضح: تحديد القضية المطروحة، ثم الاستدلال عليها بموقف أو مشهد من النص، وبعد ذلك بيان الوسيلة الفنية التي نقلتها وأثرها في القارئ. ويمكن الختم بإبراز العلاقة بين الشكل والمضمون: فرحلة الآخرة ليست إطارًا

زخرفيًّا، بل أداة تتيح للمعري أن يحاور التراث وينقد تصوّرات اجتماعية وأدبية ودينية، في نص تتداخل فيه المعرفة والمتعة والتفكير. وبهذا يتجاوز درس الرسالة تلخيص أحداثها إلى فهم كيف يصنع النثر الأدبي معنى متعدد المستويات، وكيف يدعو قارئه إلى التمييز والتأمل والنظر النقدي.

المفردات والمصطلحات

المصطلح	دلالته في سياق الدرس
التحليل الأدبي	قراءة المعنى والبناء والأسلوب مع الاستناد إلى الشواهد.
الشاهد	عبارة أو موقف من النص يثبت به التلميذ فكرته.
الرؤية	تصور العمل للإنسان والمجتمع والقيم، ويستدل عليها من البنية والأحداث واللغة.

منهجية الإجابة في الاختبار

1. حدّد نوع الدرس أولًا: نص، محور، عمل أدبي، أو منهجية تحليل.
2. قدّم الفكرة ثم أسندها إلى شاهد أو مثال من المادة المصدرية، وميّز بين الشرح اللغوي والتحليل الأدبي والرأي الشخصي.
3. نظّم الإجابة في مقدمة وجوهر وخاتمة، واجعل كل فقرة تجيب عن سؤال واضح.
4. راجع المصطلحات والروابط المنطقية، وتجنّب الأحكام العامة التي لا يسندها شاهد.

نموذج تطبيقي قصير

ابدأ من لفظ السؤال أو الفكرة المركزية، ثم اربطها بمحورين من مادة الدرس. أدرج شاهدًا من المصدر، واشرحه، وبعد ذلك قيّم النتيجة في ضوء حدودها وشروطها. هذا النموذج إجرائي، أما مضمون الإجابة فيتغير بحسب السؤال.

خلاصة المراجعة

قبل الاختبار، راجع عنوان الدرس وإشكاله أو موضوعه، ثم احفظ شبكة المفاهيم والعلاقات والشواهد. لا تكرر عبارات المصدر دون تفسير، ولا تضف قولًا إلى صاحبه من غير إحالة ظاهرة.

المصدر المعتمد: باك9.txt. الملفات المتاحة في المشروع نصوص مستخرجة وليست ملفات PDF مرقّمة؛ لذلك لم تُخترع أرقام صفحات. أي إحالة غير مقروءة في المصدر بقيت على حالها أو نُبّه إليها.